نظرات في...

# عبس وتولى

٦٦
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ

سورة التوبة : الآية – ١٢٨

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين لا سيما بقية الله في الأرض عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أشياعه وأتباعه.

لا يعجب الإنسان المسلم إذا رأى كافراً ينتقص من شأن الرسول الأكرم ﷺ سواء كان ذلك رسماً أو فلماً سينمائياً أو كتاب يكتبه مستشرق أو مستغرب يتبع أسياده، لكن العجيب أن نجد بعض ذلك في كتب المسلمين بل في صحاحهم ومسانيد أحاديثهم ويصرون على صحتها، هذه الظاهرة التي صارت متكئاً ومستنداً لأولئك الكفار ليهاجموا شخصية الرسول ﷺ وهم في الحقيقة لا يهاجمون إلا الشخصية الموجودة في بعض كتب المسلمين فمن الواجب الدفاع عن هذه الشخصية الربانية لا يجب الدفاع عن الهجوم الخارجي فقط، بل يجب تنقية تراث المسلمين من كم هائل من روايات ورؤى وآراء فيها الانتقاص من هذه الشخصية، مما صار مستنداً بيد أولئك الأعداء «الخارجيين» فيجب أولاً وقبل كل شيء أن نرد وندافع عن شخصية الرسول ﷺ في كتب بعض المسلمين قبل ردنا على

العدوان الخارجي وكمثال على ذلك نجد في أصح الكتب عند المسلمين هذا الدعاء عن النبي ﷺ «اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة»[1]، والعجيب أن لا يُنكر هذا الحديث وأمثاله بل يوجه بـ«المعنى إنما وقع من سبه ودعائه صلى الله عليه وسلم على أحد ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به العادة فخاف صلى الله عليه وسلم أن يصادف شيء من ذلك إجابة فسأل ربه سبحانه ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهوراً وأجراً وإنما كان يقع هذا منه صلى الله عليه وسلم نادراً لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا لعاناً والله أعلم»[2].

ونعتقد جازمين أن أمثال هذه الأحاديث وضعت لتبرير تصرفات بعض الحكام أو محاولة إخراج البعض الآخر من دائرة اللعن المستحق ولعل هناك أسباب أخرى للوضع، وهذا الحديث وأمثاله كان نعم المفتاح بيد أعداء الإسلام للنيل منه ومن قائده والمهم في الأمر، لا بد أن يكون محبة الرسول ﷺ ونصرته تُقدم على كل شيء فضلاً عن كتاب يراد تصحيح كل ما ورد فيه، وهذا البحث المتواضع يثير نقطة من هذا النوع وهي

(١) صحيح مسلم/ ج٨ ص٢٥.

(٢) عون المعبود ١٢/٢٧١.



نسبة العبوس لصاحب الخلق العظيم نصرة لرسول الله ﷺ. نسأل الله أن يجعلنا من أتباعه وخدامه في الدنيا وأنالنا الله شفاعته يوم القيامة

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

## ميزان القبول والرفض

في شخصية الرسول الأكرم ﷺ حيثيات كثيرة وما يهمنا الآن منها اثنتين:

الأولى: كونه قدوة يقتدى به في كل أموره وهذا الاقتداء يتضمن اتباع كل التعاليم الإلهية ومعنى هذا أن الرسول ﷺ كان إسلاماً يمشي على الأرض قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

و«هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في أقواله و أفعاله وأحواله، و لهذا أمر

(١) الأحزاب/ آية٢١.

تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحـزاب في صبره ومصابرته ومرابطتـه ومجاهدته وانتظاره الفـرج مـن ربه عـزو جل، صلوات اللّه وسـلامه عليـه دائماً إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى: للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربـوا في أمرهم يـوم الأحـزاب ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١).

أي هلا اقتديتم به وتأسـيتم بشـمائله صلى اللّه عليه وسلم، ولهـذا قـال تعـالى: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢).

الثانيـة: هـو أن النـبي ﷺ صاحـب الخلق العظيم وبشـهادة القرآن الكريم وفي سـورة هي من عتائق السور المكية وهي سورة القلم المباركة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

أي وإنـك لصاحـب الخلـق العظيـم الـذي أمـرك الله به في القـرآن، لمـا تحملت مـن قومك ما لم يتحملـه أمثالك، ففيك الأدب الجـمّ والحياء والجود والشـجاعة والحلم والصفح وغير ذلـك مـن محاسـن الأخـلاق. وقـد امتثلـت تأديـب اللّه تعالى

(١) الأحزاب/ آية ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ج٦، ص: ٣٥١.

(٣) القلم/ آية٤.



إيـاك في قولـه تعـالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١).

روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي عن عائشة: أنها سئلت عن خلق النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، فقالت: كان خلق رسـول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم القرآن أو كان خلقه القرآن، أما تقرأ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

يـدل عليـه قوله صلّـى اللّه عليه وسـلّم: إن اللّه بعثني لأتمم مكارم الأخلاق» (٢) ومن هاتين الحيثيتين يمكن أن نقبل أو نرفض بعض الروايات فكل ما يدل على عظمة خلق الرسول ﷺ والتي نـص عليهـا القـرآن يمكن قبولـه، وكل ما يدل علـى غير ذلك فليـس بالإمـكان قبوله أو تصحيحـه وهذا منهـج نصت عليه «الروايـات المتواترة التي أمرت بعرض الأخبار على الكتاب، وأن ما خالف الكتاب منها يضرب عرض ا لجدار، أو أنه باطل، أو أنه زخـرف، أو أنه منهي عن قبولـه، أو أن الأئمة لم تقله» (٣)، وهذا الميزان نفسـه يسـتخدم في ترجيح أحد الروايتين المتعارضتين فالروايـة الـتي تخالـف القـرآن تـترك ويعمـل بالأخـرى وقد

(١) الأعراف/ آية ١٩٩.

(٢)التفسير المنير في العقيدة و الشريعة و المنهج، ج٢٩، ص: ٤٧.

(٣) البيان في تفسير القرآن صفحة ٢٦٦.

استخدم السلف هذا الميزان فـ«عن ابن أبي مليكة قال توفيت بنت لعثمان بن عفان فجئنا نشهدها وحضرها ابن عمر وابن عباس فقال ابن عمر لعمرو بن عثمان ألا تنهى عن البكاء فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه فقال ابن عباس قد كان عمر يقول بعض ذلك فذكر ذلك لعائشة فقالت رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يعذب ببكاء أحد ولكن قال إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه ، قال وقالت عائشة حسبك القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (١).

قال ابن أبي مليكة فوالله ما قال ابن عمر شيئاً»(٢).

وقد استخدمت الزهراء عليها السلام نفس هذا الأسلوب في رد روايات نسبت لرسول الله صلى الله عليه وآله تنفي ميراث الأنبياء عليهم السلام فقالت بجمع من المهاجرين والأنصار وأمام السلطة الحاكمة «أيها المسلمون، أأغلب على إرثيه؟!. يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟! ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ (٣).

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول:

(١) الإسراء/ آية ١٥.

(٢) كشف الخفاء العجلوني ج ١\٢٥٨.

(٣) مريم/ آية٢٧.



﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (١).

وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا عليهما السلام إذ قال:

﴿رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ .

وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٢).

وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ (٣).

وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

والملاحظ أن السيدة الزهراء عليها السلام لم تراع دعوى تقوى من روى الحديث أو صدقه أو منزلته ومكانته وغير ذلك بل رفضت الحديث لمخالفته القرآن والاعتبار يساعد على هذا المنهج فإن القرآن قطعي الصدور والسنة على – مكانتها- ظنية الصدور فإذا تعارض القطعي مع الظني قدم الأول على الثاني قطعاً فمن القطعي الذي لا يشك فيه مسلم كون الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

(١) النمل/ آية ١٦.

(٢) الأحزاب/ آية٦.

(٣) النساء/ آية١١.

(٤) بحار الأنوار / جزء ٢٩ / صفحة٢٢٦.

صاحب الخلق العظيم وهو قدوة لغيره وفي كل المجالات فكل ما يخالف هذا القطعي من روايات تذكر أن رسول الله ﷺ يسب أو يلعن أو يجلد - ولو أحياناً - من لا يستحق ذلك وتتحول بالدعاء إلى زكاة ورحمة وتعليلها بما مر أو بقول المازري: «إن قيل كيف يدعو صلى الله عليه وسلم بدعوة على من ليس لها بأهل قيل المراد بقوله ليس لها بأهل عندك في باطن أمره لا على ما يظهر مما يقتضيه حاله وجنايته حين دعائي عليه فكأنه يقول من كان باطن أمره عندك انه ممن ترضى عنه فاجعل دعوتي عليه التي اقتضاها ما ظهر لي من مقتضى حاله حينئذ طهورا وزكاة قال وهذا معنى صحيح لا إحالة فيه لأنه ﷺ كان متعبدا بالظواهر وحساب الناس في البواطن على الله»[1]، وهناك مسألة مهمة جداً هي أن الخلق العظيم لا يتوقف على صدور الأوامر والنواهي الإلهية فالخلوق من يكون ملتزماً بتلك الأوامر ومنتهياً عن ما نهي عنه فالعقل حاكم بقبح بعض الأفعال وحسن البعض الآخر والخلق ملكة وهي صفة راسخة في النفس لا تتخلف عن الفعل المناسب لها ومن جهة أخرى فهناك تسديد إلهي قبل النبوة والوحي وقد ذكره أمير المؤمنين وهو العارف به ﷺ: «ولقد قرن الله به ﷺ ومن لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكة يسلك به طريق المكارم

(١) فتح الباري ابن حجر ج ١٤٧/١١.



ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»[1]، ويذكر ابن أبي الحديد تفسير ذلك عن إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام فيقول: «روى أن بعض أصحاب أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام سأله عن قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[2]

فقال عليه السلام يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد ﷺ ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أن ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئا»[3]، فكيف يسعنا التصديق بروايات تمس صاحب الخلق العظيم.

## مع الآيات

نسب مفسري جمهور المسلمين العبوس إلى النبي ﷺ في تفسيرهم الآيات الأولى من سورة «عبس» مع أن الآيات الكريمات لا تتحدث عن شخص النبي صراحة ولا ظاهراً بل

(١) في ظلال نهج البلاغة ١٥١/٣.

(٢) الجن/ آية٢٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ١٣ص٢٠٨.

تتحدث عن شخص وترسم ملامح تلك الشخصية فهو عابس ومتولي بسبب مجيء الأعمى لا لسبب آخر والأعمى المؤمن حقه أن يُحترم ويُقدم على غيره فهو أولى بالرعاية من غيره والعبوس هو قطوب الوجه وتقطبه بسبب ضيق الصدر وقد ذكر مرتين في القرآن الكريم مرة صفة لفرعون من فراعنة قريش وهو الوليد بن المغيرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[1].

والآيات الكريمة «تصوير آخر لحالة هذا الشقي، يرسم حركات جسده، و خلجات قلبه، و تقاطيع وجهه .. رسما بديعا، يثير في النفوس السخرية من هذا الشقي أي: إنه فكر تفكيراً مليا، وقدر في نفسه ما سيقوله في شأن النبي صلى الله عليه وسلم تقديراً طويلاً، ولم يكتف بكل ذلك، بل فكر وقدر ثُمَّ نَظَرَ أي: ثم نظر في وجوه من حوله نظرات يكسوها الجد المصطنع المتكلف، حتى لكأنه يقول لهم: اسمعوا وعوا لما سأقوله لكم ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ أي: ثم قطب ما بين عينيه حين استعصى عليه أن يجد في القرآن مطعنا، و كلح وجهه، و تغير لونه، وارتعشت أطرافه، حين ضاقت عليه مذاهب الحيل، .يقال: عبس فلان يعبس عبوسا، إذا قطب جبينه وأصله من العبس وهو ما تعلق بأذناب الإبل من أبوالها وأبعارها بعد أن جف عليها ويقال: بسر فلان يبسر بسوراً، إذا قبض ما بين عينيه كراهية للشيء

(١) المدثر/ آية ١٨-٢٢.



ومنه قوله تعالى:

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[1].

والمرة الأخرى في سورة «عبس» والتي تفسر عند البعض بأن العابس هو صاحب الخلق العظيم، وفوق هذا العبوس بهذا المعنى هناك تولي وهو الإعراض بالوجه عن الآخر الذي يستبطن عدم الاهتمام وعدم الاحترام واللامبالاة وقد استخدمت هذه الكلمة «تولى» في مواضع متعددة كلها لمعانٍ سلبية من الإعراض عن الحق أو لا أقل للإعراض عن ما حقه أن تقبل عليه وتهتم به وهذا ما يلام عليه العابس لأن العبوس بوجه «الأعمى» إما أنه اتى طلباً للطهارة أو أن يتذكر فينتفع بالذكرى لأنه مؤمن والمؤمن ينتفع بالتذكير ومن كان هذا وصفه فليس حقه أن يُعرض عنه أو يُعبس بوجهه ولا يكتفي القرآن بذلك بل يذكر صفة ثالثة ورابعة فهناك تصدي للأغنياء المعرضين عن الحق والمصرين على الباطل رغم وضوح الحق فيكون سبب هذا الإقبال هو احترام الغني لغناه لا لسبب آخر من دين أو تقوى أو غير ذلك وفي مقابل هذا الإقبال هناك تشاغل عن الساعي لطلب الحق وهو أعمى وقد اختلف الخطاب ففي العبوس والتولي كان الكلام عن غائب «عبس وتولى» وهو واضح أن الفاعل غير محدد أما الخطاب في

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج١٥، ص: ١٨١.

الصفتين الأخيرتين كان الكلام مع المخاطب «فأنت له تصدى، وعنه تلهى» مما يقرب عند البعض أن المعني هو رسول الله ﷺ من دون التفات إلا أن بعض الخطابات القرآنية لغيره ﷺ .

وإن كانت موجه له مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [1].

رغم أن رسول الله ﷺ حين نزول هذه الآيات الكريمة لا أب له ولا أم حتى يخاطب بهذا الخطاب فيكون الخطاب موجهاً لغيره يقيناً فلا مانع أن يكون القرآن يخاطب غيره في هذه الآيات ويكون معنى هذا الخطاب التوبيخ الشديد المباشر بعد الإعراض عن العابس فكيف يمكن القبول بأن هذه الشخصية هو من شهد له علام الغيوب بأنه صاحب الخلق العظيم.

## دعوى الإجماع

وفي مسألة خطيرة كمسألة نسبة العبوس إلى صاحب الخلق العظيم بوجه المؤمن الأعمى والتصدي للكفار الأثرياء يُدعى في هذه المسألة الإجماع على ذلك، فقد ادعى ذلك الشوكاني في

(١) الإسراء/ آية ٢٣.



تفسيره فقال: «وقد أجمع المفسرون على أن سبب نزول الآية أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبي ﷺ وقد طمع في إسلامهم فأقبل عبد الله بن أم مكتوم فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه فأعرض عنه فنزلت»[1]، وفي تعبير النيسابوري «أطبق المفسرون على أن الذي عبس هو الرسول صلى الله عليه وسلم والأعمى هو ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريخ بن مالك بن ربيعة الزهري، وذلك أنه أتى رسول الله وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك وهو لا يعلم شغله بالقوم، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه ويقول: إذا رآه: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول له : هل لك من حاجة؟ واستخلفه على المدينة مرتين»[2]، وذكر الرازي هذا الإجماع أيضاً فقال: «أجمع المفسرون على أن الذي عبس و تولى، هو الرسول عليه الصلاة و السلام، و

(١) فتح القدير الشوكاني ج ٥ص٢٨٣.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج٦ ، ص: ٤٤٥ المؤلف : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى : ٨٥٠هـ).

أجمعـوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتـوم»[1]، وتعبير ابن كثير «ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم كان يومـا يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسـلامه، فبينمـا هـو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابـن أم مكتوم و كان ممن أسـلم قديما، فجعل يسـأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شـيء ويلـح عليـه، وود النبي صلّـى اللّه عليه وسـلّم أن لو كف سـاعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايتـه وعبـس في وجه ابن أم مكتوم وأعـرض عنه وأقبل على الآخـر»[2]، وكثير غير هؤلاء الأعـلام وإن لم يذكروا الإجماع أو الأطباق أو ذكر غير واحد إلا أنهم أرسـلوا نزول الآية في رسـول الله ﷺ إرسـال المسـلمات التي لا نقاش فيهـا وكمثل على ذلك نذكـر قول أحـد المعاصرين وهـو عبد الكريـم الخطيب «فاعل عبس ضمير غيبة، يراد به النبي صلوات الله و سلامه عليه»[3]، وغير ذلك من كلمات ممن تصدوا لتفسـير القرآن الكريم ولنا الحق أن نتسـاءل عن منشـأ هذا الإجماع أو الإطباق أو إرسـال القول إرسال المسلمات فسنجد أن هؤلاء الأعلام اعتمدوا على بعـض الأخبـار ولنا الحـق أن نقف عندها لنـرى هل هي حجة

(١) مفاتيح الغيب، ج٣١، ص: ٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ج٨، ص: ٣٢١.

(٣)التفسير القرآني للقرآن، ج١٦، ص: ١٤٤٨.



يمكن الاعتماد عليها؟ وأول ما يصادفنا أن رواة هذه الأحاديث لم يعاصـروا هذه الحادثة إما لصغر سـنهم أو لعدم ولادتهم أو لعدم نقلهم عن أحد حتى نعرف ذلك الراوي وهذا ما نلمسه في نص ابن عاشور أن سبب نزول هذا «هو ما رواه مالك في الموطأ مرسـلا عن هشـام بن عروة عن أبيه ورواه الترمذي مسندا عن عروة عن عائشـة بقريب من هـذا، و قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وروى الطبري عن ابن عباس أن ابن أم مكتوم جاء يسـتقرىء النبي صلى الله عليه و سـلم آية من القرآن و مثله عن قتادة»[1]، فكل هذه الأسماء الواردة لم تكن معاصرة للحدث والأعجـب من ذلك أن يروي ذلـك من لم يكن مع النبي ﷺ في مكـة المكرمـة أصلاً بـل عاصـره في المدينة المنـورة ولم يكن من كبـار أهـل المدينة بل من صغارها فـ«عن قتادة عن أنس في قوله عبـس وتولى جاء بن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسـلم وهـو يكلـم أبي بن خلـف فأعرض عنه فأنـزل الله عبس وتولى قـال فـكان النبي بعد ذلك يكرمـه قال قتـادة أخبرني أنس بن مالك قال رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم»[2]. ولا نعتقد أن هذه الأسانيد المرسلة تصلح أن تكون دليلاً يعتمد عليه فضلاً أن تنشـىء إجماعاً وإطباقاً بين

(١) التحرير و التنوير، ج٣٠، ص: ٩٢.

(٢) مسند أبي يعلى أبو يعلى الموصلي ج ٥ص ٤٣٢.

المفسرين ومما يؤسف له حقاً أن دعوى هذه الشهرة نجدها عند علم من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام فيقول: «المشهور بين المفسرين وغيرهم أن الذي عبس وتولى هو رسول الله صلى الله عليه وآله»[1]، مما يفتح الباب للقائلين بأن هذا المفسر ملحق بأولئك القائلين بنزولها في عبوس صاحب الخلق العظيم لأنه يرجح هذا الرأي ويقويه على الرأي الآخر ومع الأسف فقد نسبه إلى ال «قيل» بينما هذا الرأي يستند إلى رواية عن أهل البيت عليهم السلام وكان أحسن لو جعل الـ«قيل» كما جعلها الطبرسي إن نزول الآيات في النبي صلى الله عليه وآله منسوب إلى «قيل نزلت الآيات في عبد الله بن أم مكتوم و هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيا وأمية ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي

(١) الكاشف ٥١٦/٧.



ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين»[1]. وإضافة إلى عدم تبني هذا الرأي فقد نسبه إلى ال«قيل» فإنه معروف بكثرة إيراده لتفاسير جمهور المسلمين وبذلك يكون نزولها في صاحب الخلق العظيم «قيل» ونزولها في غيره «رواية عن أهل البيت عليهم السلام» والمشكلة أن هذين العلمين بعد افتراض النزول يدافعان عن مسألة معارضتها للعصمة أو للخلق العظيم أو توجيه بأنها تعليم للرسول صلى الله عليه وآله بعدم تقديم الكافر على المؤمن ازدراء بالكافر وإعطاء المؤمن ما يستحق من المنزلة الرفيعة والاهتمام الكبير ومثل ذلك ما ورد عن مفسر ثالث «وعلى فرض صحة الرأي الأول في شأن النزول، فإن فعل النبي صلى الله عليه وآله والحال هذه لا يخرج من كونه «تركا للأولى»، وهذا ما لا ينافي العصمة»[2]، وفي المقابل هناك أغلب مفسري مدرسة أهل البيت عليهم السلام تصرح بأن العابس هو غير رسول الله صلى الله عليه وآله بل هو أحد المسلمين الذي كان حاضراً عند مجيء الأعمى فهذا المسلم هو الذي عبس وتولى وتصدى وتلهى وليس في الأمر أي استغراب باعتبار أن المسلمين كانوا جديدي عهد بالقيم الإسلامية أولاً ويتعرفون عليها بالتدرج ثانياً ولم يشهد المولى لهذا الصحابي أنه صاحب خلق عظيم ثالثاً وإن هذا ليس

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١٠، ص: ٦٦٤.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٩، ص: ٤١٢.

رأياً تفسيرياً بل هي رواية عن أهل البيت عليهم السلام وهم عدل القرآن رابعاً

## تبريرات ومناقشات

الحق أن المفسرين الذين ذهبوا إلى تفسير العابس برسول الله صلى الله عليه وآله لم يقصدوا الطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كان نتيجة كلامهم هذا ولذلك نرى محاولة توجيه المسألة وإعطائها صفة غير الطعن وقد كثرت هذه المحاولات مما يثبت أن العبوس عندما ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يحتاج إلى توجيه وتبرير ولا يترك هكذا بلا تعليل وذكر أسباب ومن تلك المحاولات محاولة الالوسي «يقال إن رسول الله عليه السلام لم يغتم في عمره كغمه حين أنزلت عليه سورة عبس لأن فيها عتبا شديدا على مثله لأنه الحبيب الرشيد و مع ذلك فلم يجعل ذلك الخطاب بينه و بينه[1] فيكون أيسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين و نبه على فعله عباده المتقين روى أن عمر ابن الخطاب بلغه إن بعض المنافقين يؤم قومه فلا يقرأ فيهم إلا سورة عبس فأرسل إليه فضرب عنقه لما استدل بذلك على

(١)أي بين الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله.



كفره ووضع مرتبته عنده و عند قومه قال ابن زيد لو جاز له أن يكتم شيء من الوحي لكان هذا وكان ما فعله عليه السلام من باب ترك الأولى فلا يعد ذنبا لأن اجتهاده عليه السلام كان في طلب الأولى»[1]،فالغم الذي أصاب حبيب الله لعتاب حبيبه لأنه على رؤوس الأشهاد وقد استغل ذلك المنافقون فيصلي فيهم أمامهم ويقرأ سورة «عبس» طعنًا في الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فلذلك كان لا يقرأ في الصلاة غيرها وهذا ما فهمه منه عمر فأمر بضرب عنقه لأنه استدل بهذا الفعل على كفره ولعل مراده الكفر الظاهري أما الكفر الباطني فهو موجود عند كل المنافقين وليس عند هذا المنافق فقط ولكن لا يوجد أمر بقتلهم بل كان الرسول صلى الله عليه وآله يتألفهم فهذا جابر بن عبد الله الأنصاري قال «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال دعوى ا لجاهلية قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال دعوها فإنها منتنة فسمعها عبد الله بن أبيّ فقال قد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل

(١)تفسير روح البيان، ج١٠، ص: ٣٣٢.

أصحابه»[1]، وهنا ملاحظة أن الذي طلب ضرب عنق المنافق «الذي أراد إخراج النبي ﷺ من المدينة وأسمى نفسه الأعز» و قد منعه من ذلك رسول الله ﷺ هو نفسه الذي ضرب عنق من كرر قراءة سورة «عبس» بصلاته ورغم أنه لم يعرف عنه قتل ولو واحداً في ميادين الحرب –على كثرتها - ولعل له العذر أن المحذور قد انتهى أمره فقد كان المحذور هو «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» وفي مقابل ذلك نجد أن كلمة ابن زيد تدل على إن القرآن موحى إلى النبي ﷺ وليس من عنده وهو أمين على نقله تاماً غير منقوص فلو كتم شيئاً لكتم هذا العتاب الشديد على العبوس والإعراض كما أنه لم يكتم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ و ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[2] وأخيراً علل المفسر نفسه هذا الفعل بأنه «ترك أولى» وليس بذنب باعتبار أن النبي ﷺ مجتهد يطلب الأولى وقد يصيبه وقد يخطئه وقد أخطأ هذه المرة وحكاية اجتهاد الرسول ﷺ تنافي نبوته وعصمته فكل قوله وفعله وتقريره حجة على العباد وما سماه الاجتهاد هنا سُمي في تفسير آخر عند مفسر آخر تقديم المهم على الأهم لأن الأعمى جاء طالباً للهدى «ولكن النبي ﷺ لم يستجب له، لأن هناك حالة مهمة يعالجها في

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص٢٠.

(٢) الأحزاب/ آية ٣٧.



دوره الرسالي المسؤول، في محاولة لتزكية هؤلاء الكفار من وجهاء المشركين، طمعا في أن يسلموا ليتسع الإسلام في اتباع جماعتهم لهم، لأنهم يقفون كحاجز بين الناس و بين الدعوة، و لذلك أجل النبي ﷺ الحديث مع هذا الأعمى إلى وقت آخر، إذ كانت الفرص الكثيرة تتسع للّقاء به أكثر من مرّة، فتكون له الحرية في إغناء معلوماته بما يحب في جو هادئ ملائم، بينما لا تحصل فرصة اللقاء بهؤلاء دائما، فكانت المسألة دائرة- في وعيه الرسالي- بين المهمّ في دور هذا الأعمى، و بين الأهم في دور هؤلاء الصناديد»[1]. فأخطأ في التشخيص «تشبه اجتهد فأخطأ» ونسب إلى النبي ﷺ أن الله يربيه تدريجياً بعد أن يقع في الخطأ ومن ذلك أنه ﷺ يستغرق فيما فيه مضيعة للوقت ويفوّت الفرص المهمة ولا يعرف مسؤوليته المباشرة مما ينزل بمرتبة النبوة إلى مرتبة الاجتهاد القابل للخطأ والصواب وكل هذا يدل على أن نسبة العبوس للرسول ﷺ تحتاج إلى أكثر من توجيه حتى يستقيم المعنى ويكون ملائماً لشخصيته ﷺ لكن على شرط أن يكون التوجيه وجيهاً ولا يصل الحال أن نفتح الباب للنصارى ليكتبوا عن رسول الله ﷺ «كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكتراث بالمسكين والفقير فمرة قطب في وجه الأعمى ولم يلتفت إليه مع أنه كان آتيا ليتعلم

(١) تفسير من وحي القرآن، ج٢٤، ص: ٦٦

منه تعاليم دينه، ولما عرف أن هذا لا يليق ادعى بأن الله وبخه، فورد في سورة عبس، روى أن ابن أم مكتوم أتى محمداً وهو يتكلم مع عظماء قريش وقال: آقرأني وعلمني مما علمك الله فلم يلتفت إليه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه الصبيان والسفلة فعبس في وجهه وأعرض عنه»[1].

وخاصة أن قرآننا يتحدث عن أن من معاجز عيسى عليه السلام أنه يبرىء الأكمه والأبرص فكم فرق بين من يعبس بوجه الأعمى وبين من يبرئه من عماه ولا ندري كيف عرف هذا النصراني وقبله الذي رووا هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وآله قال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه الصبيان وهذه الكلمة تجدها كثيراً في كتب المفسرين ولا ندري كيف عرفوا هذا الكلام النفسي والراوي هو مجاهد وهو من طبقة التابعين فقد «أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم مستخليا بصنديد من صناديد قريش وهو يدعوه إلى الله و هو يرجو أن يسلم إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعمى فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم كره مجيئه وقال في نفسه يقول هذا القرشي إنما اتباعه العميان و السفلة و العبيد فعبس فنزل الوحي عَبَسَ وَتَوَلَّى إلى آخر الآية»[2]، وهل كان إيمان

(١) الهدى إلى دين المصطفى - الشيخ محمد جواد البلاغي - ج ١ - ص ١٩٣

(٢) الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٦، ص: ٣١٥ : جلال الدين السيوطى.



الضعيف من الناس مسألة سرية لا يعرفها هؤلاء القريشيون الذين تختلف الروايات اختلافاً فاحشاً في تسميتهم مع وجود أسياد المجتمع المكي إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله والعجيب أن يدعي تكرار مسألة السادة والعبيد في آيات تنزل بالمدينة المنورة فقد «روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء عن قومك أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عن نفسك فلعلك إن طردتهم اتبعناك فقال: عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا أقمنا فأقعدهم معك إن شئت فقال «نعم» طمعاً في إيمانهم وروي أن عمر قال له لو فعلت حتى ننظر إلى ماذا يصيرون ثم ألحوا وقالوا للرسول عليه السلام اكتب لنا بذلك كتاباً فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت هذه الآية فرمى الصحيفة واعتذر عمر عن مقالته فقال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزل قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[1].

(١) الكهف/ آية ٢٨.

فـترك القيـام عنـا إلى أن نقوم عنـه وقال :الحمـد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن اصبر نفسـي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات»[1]

## تعليلات أخرى

الأعمـى في هـذه الآيات هو رجل فاقـد البصر وإن جاءت هذه الكلمة في آيات أخرى بمعنى فاقد البصيرة وقد اختلف الذين نسـبوا العبوس إلى النبي ﷺ في أمر هذا الأعمى، فهل هو كما يقول المراغي و«بسبب عماه كان يستحق مزيد الرفق و الرأفة، فكيف يليق بك أن تخصه بالغلظة وهذا كما تقول لرجل جاءه فقـير فانتهـره وآذاه: أتؤذي هذا المسـكين الذي يسـتحق منك الشفقة ومزيد الحنان والعطف؟

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾[2].

أي: و أي شـيء يعلمـك حال هذا الأعمـى؟ لعله يتطهر بما يسمعه منك، ويتلقاه عنك، فتزول عنه أوضار الآثام، أو يتعظ

(١) مفاتيح الغيب، ج١٢، ص ٥٤١.

(٢) عبس/ أية ٣-٤.



فتنفعـه ذكراك وموعظتك»[1]. أو هل هو سـيء الأدب كما قاله القرطبي ونسـب ذلك إلى «علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان مـن سـوء الأدب لـو كان عالما بأن النـبي صلى الله عليه وسـلم مشـغول بغـيره، وأنه يرجو إسـلامهم، ولكن الله تبـارك وتعالى عاتبـه حتـى لا تنكسـر قلوب أهـل الصفّة، أو ليعلـم أن المؤمن الفقـير خـير من الغـني، وكان النظـر إلى المؤمـن أولى وإن كان فقـيرا أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعـا في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة»[2]، أم أنه بينه وبين النبي ﷺ «وحدة حال» أي علاقة وثيقة تسـقط بين أصحابها الطابع الرسمي في العلاقات الاجتماعية وعندما نتساءل عن الدليل على وثاقة هذه العلاقة فيكون ا لجواب «إن دراستنا لعلاقة النبي ﷺ بهذا الأعمى تدلّ على أن هناك صلة وثيقة بينهما، بحيث كان يدخل على النبي ﷺ وهو جالس بين زوجاته، وقد اشـتهرت الرواية التي تتضمن دخوله عليه وعنده عائشة وأم سلمة، فقال لهما: احتجبا فقالتا: إنه أعمى، فقال: أنتمـا تريانـه .وإذا كان ذلك قد حـدث في المدينة، بالإضافة إلى اسـتخلافه عليها عند خروجه إلى الغـزو، فإنه يدل على عمق الصلة منذ البداية، لا سـيما إذا سـلمنا بالرواية التي تتضمن

(١) تفسير المراغي، ج٣٠، ص: ٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج٢٠، ص: ٢١٤.

سؤاله الملح بأن يتلو عليه كتاب الله و يعلمه مما علمه الله، مما يدل على الروحية الإيمانية التي تستوعب المعرفة الدينية للقرآن وللإسلام بالمستوى الذي ينتهز فيه الفرصة الدائمة لاكتساب العلم»[1]، ولا ندري كيف يكون الدخول على النبيﷺ يدل على وثاقة العلاقة لأن الروايات تدل على دخوله مرة واحدة لا أكثر فما بال الداخلين الآخرين وهم ألوف لم تتحقق لهم هذه العلاقة الوثيقة والكلام هو الكلام على استخلافه على المدينة فقد استخلف ﷺ غير ابن أم مكتوم أيضاً ولم يستدل على «وحدة الحال» لكن قوله الأخير «لا سيما إذا سلمنا» يدل على عدم جزمه بصحة الرواية أما إلحاحه في السؤال الدال على إيمانه هنا فهو في تفسير آخر «قطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذين هو حريص على إسلامهم و لم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه علمني مما علمك الله فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه»[2]، وكم هو الفرق بين هذا الترحيب النبوي الذي يدل على أن العتاب موجه للرسول الأكرم ﷺ وبين ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام

(١) تفسير من وحي القرآن، ج٢٤، ص ٦١.

(٢) تفسير الجلالين، ص ٥٨٨..



ناشر علوم أهل البيت عليهم السلام أنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحبا مرحبا، والله لا يعاتبني الله فيك أبدا، و كان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبيﷺ مما يفعل به»[1]، مما لا يدل على أنه هو المعاتب بل يدل على أن المعاتب غيره خاصة أن «ظاهر الآية غير دال على توجيهها إلى النبي ﷺ ولا فيها ما يدل على أنه خطاب له، بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه. وفيها ما يدل عند التأمل على أن المعني بها غير النبي ﷺ لأنه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي صلى الله عليه وآله في قرآن ولا خبر مع الأعداء المنابذين، فضلا عن المؤمنين المسترشدين»[2]، والقارىء يرى أن كل هذه التعليلات والتي سبقتها وقول من قال: أن الأعمى يستوي عنده العبوس في وجهه والابتسام ولا ندري لماذا العتب آذن؟ فكل ذلك لا يصلح لتوجيه نسبة العبوس لصاحب الخلق العظيم ولا ندري ما الضير في نسبة ذلك لأحد المسلمين «من بني أمية» أو غيرهم وخاصة أنه حديث عهد بالإسلام ولم ينس القيم ا لجاهلية فلا بأس عليه أن يتأدب بالتدريج وخاصة إذا قرأنا في تأريخ هذا الرجل أنه

(١) البرهان في تفسير القرآن، ج٥، ص: ٥٨٣ سيد هاشم البحراني.

(٢) تنزيه الأنبياء: أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي المعروف بالشريف المرتضى ص١٦٧..

وبعد سنوات من الحدث وفي بناء مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة يصوره المؤرخ المسلم بأنه «رجلاً نظيفاً متنظفاً وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه وإذا وضعها نفض بكفيه ونظر إلى ثوبه فإن أصابه تراب نفضه فنظر إليه علي عليه السلام ثم أنشأ يقول: لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها راكعا وساجدا وقائما طورا قاعدا ومن يرى عن التراب حائدا فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعني بها فسمعه عثمان فقال: يا ابن سمية ما أعرفني بمن تعرض؟ و كان معه جريدة قال: لتكفن أو لاعترضن بهذه الجريدة وجهك»[1]، وهذه الصورة كما يرى القارىء تتلاءم مع صورة العابس المتولي المتصدي للأغنياء والمنشغل عن الفقراء، فإذا دار الأمر بين أن يكون النبي ﷺ هو العابس حسب الروايات التي عرفنا حالها والتعليلات التي ذكرناها وبين الروايات الواردة عن صادق أهل البيت عليهم السلام التي تنسب ذلك لصحابي لا نرى لمسلم عذراً في اختيار نسبة العبوس للرسول ﷺ ومن العجيب أنه اختيار كثير ممن تصدوا للتفسير وأعجب من ذلك مجموعة روايات يدعي لها الصحة تقلل من شأن رسول الله حتى ترفع من شأن غيره من ذلك ما روته إحدى زوجاته «دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فوضع ثوبه

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ابن الدمشقي ج ٢/ ٤٣..



بين فخذيه فجاء أبو بكر فاستأذن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم على هيئته ثم جاء عمر يستأذن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم على هيئته وجاء ناس من أصحابه فأذن لهم وجاء علي فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم على هيأته ثم جاء عثمان بن عفان فستأذن فتجلل ثوبه فأذن له فتحدثوا ساعة خرجوا فقلت يا رسول الله دخل أبو بكر وعمر وعلي وناس من أصحابك وأنت على هيأتك لم تحرك فلما دخل عثمان تجللت ثوبك قال ألا أستحيى ممن تستحي منه الملائكة، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى باختصار كثير وإسناده حسن»[1] والأمثلة على ذلك كثيرة ونحن نقبل مدح من يستحق المدح لكن بشرط أن لا ينتقص من رسول الله ﷺ ليرفع بذلك آخرين ونرى صورة الرجل الذي يستقبل ضيوفه واضعاً ثوبه بين فخذيه لا تليق بإمام مسجد أو عالم دين أو حتى طالب علم فكيف برسول الله ﷺ وتزيد زوجة أخرى في هذا الحديث وقد حصل في غرفتها أيضاً أنه ﷺ «لابس مرطها» وفي رواية ثالثة في بستان من بساتين الأنصار فقد حدث «أنس بن مالك قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطاً من حوائط الأنصار فإذا بئر في الحائط، فجلس على رأسها، ودلى رجليه، وبعض فخذه مكشوف، وأمرني أن

(١) مجمع الزوائد الهيثمى ج ٩ /٨٢.

أجلس على الباب، فلم ألبث أن جاء أبو بكر فأعلمته، فقال: ائذن له وبشره با لجنة، فحمد الله عز وجل ثم صنع كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر. . . ثم جاء علي . . . ثم جاء عثمان ، فأعلمته، فقال: ائذن له وبشره با لجنة، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم غطى فخذه، قالوا يا رسول الله غطيت فخذك حين جاء عثمان؟ فقال: إني لأستحي ممن يستحيي منه الملائكة»[1] رغم أن فقه هذه المدرسة يرى أن فخذ الرجل عورة فقد رووا عن ابن عباس «مر رسول الله ﷺ على رجل فرأى فخذه مكشوفة فقال: غط فخذك فأن فخذ الرجل من عورته»[2].

(١) إرواء الغليل محمد ناصر الألباني ج١ص٣٠٠..

(٢)المستدرك ج٤ ص١٨٢.



## وأخيراً

هذه دعوة لتوقير الرسول الأكرم ﷺ وتقديمه على ما بين أيدي المسلمين من أحاديث يعتقدون صحتها أو أراء تفسيرية سطروها في مجاميعهم وتلقوها بالقبول فإذا دار الأمر بين التوقير المطلوب شرعاً أو قبول هذا الركام وخاصة أنه خلاف ما ورد عن الثقل الثاني الذي تركه الرسول الأكرم ﷺ في الأمة وأمرها بالتمسك بهما وجعلهما – معاً- سبباً لهداية الأمة وعدم وقوعها في الضلال

وفقنا الله للتمسك بالثقلين

بمحمد وآله الطاهرين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

## الفهرس


المقدمة..... ٣

ميزان القبول والرفض ..... ٥

مع الآيات ..... ١٢

دعوى الإجماع..... ١٥

تبريرات ومناقشات ..... ٢٠

تعليلات أخرى..... ٢٦

وأخيراً ..... ٣٣




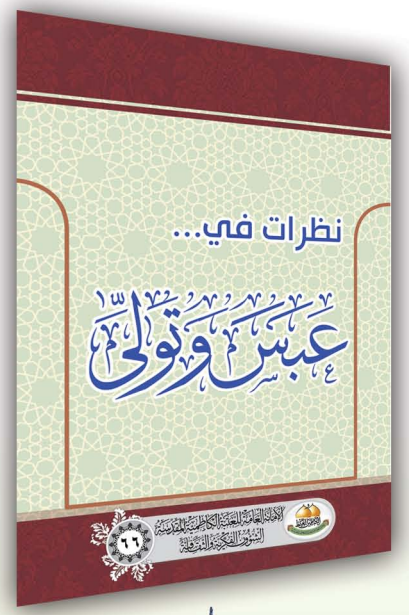

لا يعجب الإنسان المسلم إذا رأى كافراً ينتقص من شأن الرسول الأكرم سواء كان ذلك رسماً أو فلماً سينمائياً أو كتاب يكتبه مستشرق أو مستغرب يتبع أسياده، لكن العجيب أن نجد بعض ذلك في كتب المسلمين بل في صحاحهم ومسانيد أحاديثهم ويصرون على صحتها، هذه الظاهرة التي صارت متكأً ومستنداً لأولئك الكفار ليهاجموا شخصية الرسول وهم في الحقيقة لا يهاجمون إلا الشخصية الموجودة في بعض كتب المسلمين فمن الواجب الدفاع عن هذه الشخصية الربانية لا يجب الدفاع عن الهجوم الخارجي فقط، بل يجب تنقية تراث المسلمين من كم هائل من روايات ورؤى وآراء فيها الانتقاص من هذه الشخصية، مما صار مستنداً بيد أولئك الأعداء


الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
زورونا www.aljawadain.org

الشؤون الفكرية والثقافية
راسلونا fikriya@aljawadain.org